

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[210] وقد عبّرت الآيات الكريمة عن ذلك بقولها : (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَٰهٖمَ هٖمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهٖ عَالِمِينَ) (1). وفي الواقع فإنّ الله تعالى قد وهب لإبراهيم مؤهلات كثيرة تمنحه القدرة على تحمل تلك المسؤولية العظيمة والاستفادة من هذه المواهب والقابليات في خطّة تقوية دعائم الإيمان والتوحيد والتصديّ للعامل الأساس في شقاء البشرية، أي عبادة الأصنام والأوثان، وكما سيأتي في سياق هذه الآيات الشريفة أنّ إبراهيم ابتدأ أوّلاً بدعوة عمّه آزر للإيمان بصراحة اللهجة وتمام القوّة وقال له : (مَا هَذِهِ السَّامَانِيَةُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ). وعندما أجابه آزر بالقول : (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا لَهْجًا عَرَبِيًّا). فأجابه إبراهيم (عليه السلام) : (قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ). إنّ آزر لم يكن يصدّق لحدّ الآن أنّ إبراهيم سوف يتصدى بهذه الصراحة والجدّة لمقاومة هذه الأصنام التي يعبدونها الجميع ولذلك سأله : (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ). ولكن إبراهيم (عليه السلام) أجابه أنّّه جادّ في كلامه هذا وقال : (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا مِنْ عَبِيدِهِ). ثمّ أضاف : (وَتَاللَّهِ لَآ كَرِيدَ لَكُمْ أَصْحَابُكُمْ بِعُدَّةٍ أَنْ تُولَّيُوا مُدَّةً بَرًّا). وهكذا ترجم إبراهيم (عليه السلام) قوله في ميدان العمل بعد أن استغلّ الفرصة المناسبة لذلك، فكسّر الأصنام جميعها إلّا الصنم الأكبر لعلّهم يثوبون إلى رُشدهم أو يرجعون إلى الصنم الأكبر المسبب لهذه الحادثة ليسألوه كما تقول الآية : (فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَهٌ لَّيْهَ يَرْجِعُونَ) (3). وهناك اختلاف بين المفسّرين في مرجع الضمير في قوله (إليه) في ذيل الآية، وقد أورد 1. سورة الأنبياء، الآية 51. 2. سورة الأنبياء، الآية 57. 3. سورة الأنبياء، الآية 58.